

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لم تعد صناعة الكتاب أمراً مقتصرًا على المشتغلين بإنتاج الكتب، لقد أصبح القارئ طرفًا في صناعة الكتاب، لذلك أصبح الحديث إليه في صناعة الكتاب ونشره حديثاً يعنيه.. ولأن ميول القراء وظروف حياتهم اليومية وأنماط معيشتهم أصبحت عنصراً هاماً في تحديد حجم الكتاب وغلافه وورقه فقد لزم على المشتغلين بصناعة الكتاب أن يفتحوا أبواب رواقهم أمام القراء. عسى أن يصبح التفاعل بين صناع الكتاب وقرائه عاملاً في دفع عجلة الكتاب إلى الأمام.

وهذه المقدمة هي البوابة الخارجية لرواق صناعة الكتاب، حتى يستطيع القارئ أن يشاهد الكتاب كما يشاهد رغيف الخبز إذا أتيح له أن يرى داخل المخبز. إنها سياحة وممتعة واطمئنان في آن واحد. وتعالج هذه الدراسة «الكتاب» من منظور اقتصاديات الإعلام، وعلى ذلك قسمت إلى خمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

في الفصل الأول تناولت الكتاب باعتباره وسيلة إعلام، فاستعرضت تعريفات الكتاب المختلفة لكي أصل إلى خصائصه. ولكي أحدد ملامحه في أطراف العملية الإعلامية من مرسل ومستقبل ورسالة ووسيلة وأثر ورد فعل. ثم بينت موقع الكتاب في دوائر الإعلام من محلي إلى وطني إلى عالمي. واستعرضت تاريخ الكتاب، ثم علاقة الكتاب بالتراث وبالرقابة. وختمت الفصل الأول بالحديث عن مستقبل الكتاب.

وكان الفصل الثاني خاصاً بالمؤلف. فأجبت عن سؤال هام هو: هل التأليف مهنة؟ ثم تحدثت عن المؤلف في التاريخ، وعن المؤلف في النص القانوني. وحاولت تفسير الفروق بين المسميات المختلفة للمؤلف. وجعلت ملاحق هذا الفصل الاتفاقيات العالمية والعربية والقانون المحلي لحماية حق المؤلف. وفي الفصل الثالث تناولت الناشر والنشر. وأجبت عن السؤالين الضروريين وهما: من الناشر؟ وما النشر؟ ثم تناولت لمحات من تاريخ النشر ثم فصلت أنواع نشر الكتب مثل نشر التراث، ونشر كتب الأطفال، ونشر الكتب الدراسية، ثم نشر الكتب المترجمة، ونشر الكتب الدينية، والنشر العام. ثم تناولت المبادئ التنظيمية لدور النشر. وعرجت على وظائف النشر: الاقتصادية، والمهنية، والفكرية. وأبعد ذلك تناولت واقع النشر المصري المعاصر ومشاكله. وألحقت بهذا الفصل نص قانون المطبوعات ونماذج لعقود النشر.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لطباعة الكتاب وإخراجه. وتناولت فيه نشأة الكتاب كمدخل لدراسة ونشأة الكتابة العربية والخط العربي. ثم تناولت رحلة الورق من البردي إلى اختراع الصينيين

في عام ١٠٥ ميلادية ومسيرته الجغرافية والتاريخية حتى القرن التاسع عشر. وتناولت المطبعة وظهورها. ثم تطور إخراج الكتاب من الحضارات القديمة إلى اليوم. وختمت هذا الفصل بتناول عناصر إخراج الكتاب بشيء من التفصيل. وكانت الصور أكثر ما في هذا الفصل دلالة وتعبيراً.

وكان الفصل الخامس عن توزيع الكتاب والمكتبات فدرست التوزيع باعتباره حلقة رئيسية في سلسلة النشر، والعوامل التي تزيد من توزيع الكتاب، والعوامل التي تقلل من توزيعه، ودرست المكتبات في تاريخها وفي حاضرها وعلى وجه الخصوص المكتبة الوطنية ودورها المعاصر. وكانت الخاتمة عن المشكلة المعاصرة للكتاب العربي.

وعند الحديث عن منهج البحث في هذا الكتاب فإنني أعترف بأن موضوع الدراسة أعانني في استخدام المنهج الذي أحبه وأفضله في الدراسات الإعلامية. وهو منهج الأبعاد المتعددة للدراسة الظاهرة الإعلامية أو المشكلة الإعلامية.

إن الدراسة في مجلتها رؤية «بانورامية» موسوعية لمشكلة الكتاب من حيث المحتوى باعتباره إعلاماً وباعتباره علماً، ومن حيث الهيكل باعتبار النشر عملاً تجارياً. وباعتبار مؤسسة النشر إحدى الهياكل الاقتصادية في المجتمع. وبين المحتوى والهيكل تعدد الأبعاد الفنية والتاريخية والاجتماعية وغيرها، والتي تسهم بدرجات متفاوتة في إجلاء حقيقة مشكلة الكتاب.

إن علوم الاقتصاد والمكتبات والقانون هي ألقى العلوم بعلم الإعلام في هذه الدراسة. أما مراجع الكتاب فيمكن تقسيمها إلى خمس مجموعات تشمل الكتب العربية، ثم الكتب الأفرنجية، ثم الكتب المترجمة إلى العربية، ثم المقالات وقصاصات الصحف والإحصائيات والقوانين والتقارير، ثم دوائر المعارف والمعاجم.

ومن أهم المراجع المؤلفة باللغة العربية كتاب «حركة نشر الكتب في مصر» دراسة تطبيقية للزميل الدكتور شعبان خليفة. وهذا الكتاب القيم الذي تبلغ صفحاته ٦٧٠ صفحة من القطع الكبير يعد عملاً علمياً أساسياً وصلباً في موضوع النشر باللغة العربية وفي الواقع المصري بصورة أساسية. وهو جوهر رسالته في عام ١٩٧٢ لدرجة الدكتوراه بعنوان حركة نشر الكتب في مصر واقعها ومستقبلها. أما المراجع الأجنبية فمن أهمها كتاب الحقيقة عن النشر أو حقائق النشر The Truth About Publishing في طبعته التاسعة. ذلك الكتاب الذي كتبه الناشر البريطاني الذائع الصيت «السير ستانلي يونون» ونشرت طبعته الأولى في أكتوبر ١٩٢٦ ولحققتها الطبعة الثانية في نوفمبر من العام نفسه. وتلاحقت الطبعات بعد ذلك الثالثة في عام ١٩٢٩، ثم الرابعة في عام ١٩٤٦، والخامسة في عام ١٩٤٧، والسادسة في عام ١٩٥٠، ثم كانت الطبعة السابعة في عام ١٩٦٠، معدلة ومنقحة ولحققتها الثامنة في عام ١٩٧٠ ثم آخر طبعاته حتى الآن وهي التاسعة تلك الطبعة التي تحمل اسم فيليب يونون الذي قام بتفقيح الكتاب وإعادة صياغته، ومحظى هذا الكتاب بأهمية بالغة في مجال النشر ليس في بريطانيا وحسب بل في العالم بأسره. لقد ترجم ونشر حتى عام ١٩٦٧ إلى اللغات التالية في العواصم التالية: التشيكية - براغ، الدانمركية - كوبنهاجن، الهولندية - ماسترشت، الفرنسية - باريس، الألمانية - شتوتجارت، الهندية - نيوراس، الأندونيسية - جاكارتا، الإيطالية -

ميلان، اليابانية - طوكيو، البرتغالية - بورتو، وفي ريودي جانيرو، الأسبانية - برشلونة، السويدية - استوكهولم، التركية - اسطنبول.

ومن أفضل المراجع المترجمة إلى العربية كتاب Svend Dahl «سفنندال» تاريخ الكتاب Histoire du livre الذي ترجمه إلى العربية محمد صلاح الدين حلمي عام ١٩٥٨ وراجع الترجمة توفيق إسكندر أستاذ الوثائق بكلية الآداب بجامعة القاهرة آنذاك.

ولقد حاولت في مجال المراجع أن أركز على نقطتين جديدتين هما:

١ - مزج التراث العربي بالفكر العالمي المعاصر فحاولت أن أقابل عبدالحميد الكاتب وابن النديم مع سارتر وأدونيس.

٢ - الاعتماد على الصحف أو بمعنى أدق على القصصات الصحفية حول بعض جوانب الدراسة.

هذا إلى جانب الإحصائيات والتقارير والقوانين التي اقتربت من البحث.

وبعد .. لعل هذه الدراسة تسهم في عودة النشر إلى رحاب الدراسات الإعلامية. ولعلها تقيم جسوراً بين الدراسات الإعلامية والدراسات المكتبية والدراسات الاقتصادية. ولعلها قبل ذلك وبعده أن تنفع الأطراف المشتركة في إنتاج الكتاب وتنفع قراء الكتب، والله ولي التوفيق.

د. محمد سيد محمد

أستاذ الصحافة، جامعة القاهرة